

الأستاذ الدكتور فاضل حسين مؤرخاً وسياسياً

أ.د. سامي عبد الحافظ القيسي

جامعة بغداد / كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحوم الدكتور فاضل حسين شخصية قل أن يوجد هذا الزمن بمثلها . فقد أجمع فيه خصلتان هما العلم والتواضع . وعلى رأي المرحوم السيد عبد الرزاق الحسني إن الدكتور فاضل حسين اسم على مسمى لأنه فاضل باسمه وبأخلاقه . وقد أكتسب هذا الفاضل لقباً لا يليق إلا به ذلكم هو " أستاذ الأساتذة " ويكفيه فخراً إن الكثير من الأساتذة الذين تبوأ مناصب رفيعة في الحياة الأكاديمية تدريسا أو إدارة كانوا قد درسوا على يديه أو كانت لهم تجربة العمل لانجاز رسائل جامعية تحت إشرافه .

في منتصف الستينات درست على يديه مادة التاريخ الأوربي في المرحلة الثالثة بقسم التاريخ في كلية التربية آنذاك . وكان جل اعتماده بتدريس المادة في وقتها على كتاب التاريخ الأوربي مؤلفه " كارلتون هيز " حتى قيل في حينها إن هذا الكتاب ماهو إلا إنجيل لفاضل حسين . وكان من شدة إعجابه بهذا الكتاب أنه قام بترجمة عدة فصول منه بالاشتراك مع أستاذ العلاقات الدولية في كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد الدكتور كاظم هاشم نعمة . واعتمد الكتاب منهجياً للتدريس في المرحلة الثالثة لأقسام التاريخ . وفي السنة الرابعة درست على يديه في قسم التاريخ مادة تاريخ العرب الحديث والمعاصر وكان اعتماده على كتاب جورج أنطونيوس الموسوم "

يقظة العرب "في تدريس هذه المادة وهو من كلاسيكيات المصادر التي بحثت موضوع الحركة القومية العربية .

لقد أتسمت طريقته في التدريس بانتهاج أسلوب "التحبيب" في المادة. وأقصد به استنكاره للمناسبات والطرف الملازمة للحدث وذكر بعض النكات ذات النقد ألد لأذع لبعض الممارسات دون وجل وخوف ساخر متهمكها. واتسمت علاقاته بطلابه ومن بينهم كاتب هذا المقال بالبساطة والعفوية وكانت أحاديثه الشيقة يغلب عليها طابع المرح والمتعة .

وبعد التخرج في العام الدراسي (١٩٦٥/١٩٦٦) لم تنقطع علاقتي به وكنت أزوره دوماً في بيته البسيط المتواضع في منطقة الداوودي في بغداد فأجد منه الترحيب والتقدير حتى سفره في إجازة للتدريس سواء في جامعة الرياض في المملكة العربية السعودية أو في المعهد العالي التابع لجامعة الدول العربية .

كان المرحوم الدكتور فاضل حسين إنساناً بكل معنى الكلمة باراً بأهله ومعارفه وأصدقائه وطلابه . ولم أتذكر في معظم أحاديثي معه أنه قد ذكر بسوء أحد ما إلا في حديث واحد حينما كان الأمر يعترض قلبه الكبير بسبب تنكر أحد طلابه له على خلفية بحث كان المرحوم قد كتبه عن جمعية الجوال وواجهات النشاط القومي في العراق في الثلاثينات . إذ يبدو أن هذا الطالب اختير مقوماً لهذا البحث . ولم يكن اختياراً موفقاً وكان اختياره مقصوداً لعرقلة نشر بحث الدكتور المرحوم فاضل حسين . وهكذا رد البحث ولم ينشر في حينه . فأثار هذا الأمر حفيظة الدكتور وتكلم عنه بكل مراة ونعت هذا الخبير ببعض الكلمات الشديدة القاسية ذاكراً أفضاله الكثيرة عليه . إما عدا هذه الحادثة فلم اسمع منه غيرها أبداً .

في العام ٦٨/٦٩ تجدد الاتصال بيننا وتم الاتفاق سريعاً على إشرافه لرسالة الماجستير إلى كنت أنوى كتابتها عن "ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية" والغريب أنني وجدته متحمساً بشكل لا يمكن تخيله لإعجابه بياسين الهاشمي من جهة ولعرفته الشخصية به وببعض القضايا الخاصة عنه . وهكذا تمت الموافقات الأصولية بشكل سريع دون إشكالات أو منغصات مما

نلاحظه ونعاني منه كثيراً في أيامنا هذه. واتسمت طريقته في الإشراف أنه لا يتدخل كثيراً في أفكار الباحث وتحليلاته. ويترك له حرية التعبير عن أفكاره وطروحاته ولكن وفق السياق العام لمنهج وخطة البحث دون شطط وابتعاد عن المضمون. مع الالتزام الدقيق بذكر الحقيقة التاريخية ولا شيء غير الحقيقة. ويبدو أن سماحه للباحث وإعطاءه الحرية الكاملة للتعبير عن فكره ما هو إلا انعكاس لتجربته البحثية الشخصية التي تراكمت لديه سواء تجربته لنيل درجة الدكتوراه في الخمسينات عن مشكلة الموصل في جامعة أنديانا الأمريكية. أو تجربته في العمل السياسي في الحزب الوطني الديمقراطي حيث كان يلقب (بمعلم الحزب). أو من خلال عمله الوظيفي المستمر في الساحة الأكاديمية ولسنوات طويلة بدون انقطاع مما وفر له أرضية واسعة من اللقاءات والاحتكاك بتيارات سياسية وثقافية وعقائدية كان لها أبلغ الأثر في توسيع نظرتة للأمور والجدل حولها وقبول الرأي والرأي الآخر. كما كان في الإشراف كثير التأكيد على الصياغات اللغوية وعلى اللغة العربية السليمة واستخدام الجمل القصيرة دون إهمال الفواصل والفوارز والنقاط.

وبعيداً عن هذا الجانب النظري في الإشراف وانتقالاً منه إلى الجانب الميداني التطبيقي أجد أن المرحوم الدكتور فاضل حسين يقدم نموذجاً نادراً في التعامل الأخوي أهم ملامحه التواصل العلمي. إذ كنت أنسى فلا يمكن أن أنسى أن له الفضل الكبير في تقديمي وتعريفي ببعض الشخصيات ممن أسهم في الكتابة في تاريخ العراق المعاصر. فلولاه لما كنت أعرف المرحوم حسين جميل المحامي والمرحوم نائب المدعي العام خيري أمين العمري والمرحوم السد عبد الرزاق الحسنى والأستاذ نجدت فتحى صفوت أطال الله عمره وغيرهم الكثير.

إذا كان رحمة الله عليه يقلني بسيارته الخاصة ويعرفني على هذه الشخصيات وغيرها ويشجعني على استمرار التواصل معهم مستفيداً من الخزين المعرفي لديهم. ولعل من باب الإنصاف الاعتراف أنه كان ينصحني أن اعرض ما أكتبه على البعض منهم زيادة في التوضيح والتعديل والتنقيح بعد القراءة الأولى والثانية من قبله. واعتقد أن هذا السلوك ما هو إلا على

مراحل التواضع العلمي حتى قيل أن التواضع صفة العلماء. وبما حبذا لو أن الأساتذة في أيامنا هذه يسلكون بعضاً من سلوك أساتذة أيام زمان ويتواضعون بعض الشيء ويذكرون بالفضل والعرفان لأولئك الذين كانوا السبب فيما وصلوا إليه من مراتب العلم والتقدم. ويشجعوا طلبتهم على الاستفادة من معارف الآخرين ويتبعوا عن الانغلاق ويوسعوا الاستشارة العلمية التي ستصب في النهاية لصالح البحث ولصالح الباحث وجميعها ستجبر في النهاية لصالح المشرف ومسيرة الأكاديمية.

في منتصف السبعينات كان المرحوم من أوائل الأساتذة الذين استضافتهم كلية الآداب بجامعة البصرة للمساهمة في مناقشات طلبة الماجستير في قسم التاريخ وكذلك في تقديمه سمناً ضمن أنشطة قسم التاريخ الذي اعتاد على تنظيمها أسبوعياً في المركز الثقافي التابع لجامعة البصرة وكان عنوان موضوع السمنار الذي ألقاه في وقتها "دراسة في تطور الفكر الديمقراطي في العراق". إذ كان رحمه الله مفتوناً بالديمقراطية وكان مؤمناً بأنها الأسلوب الأمثل للحكم في العراق. وقد تتعرض التجربة الديمقراطية لبعض الانتكاسات والمطبات - كما حصل في تجارب تاريخية أخرى - إلا إن الغلبة ستكون لها في النهاية. إذ ليصح إلا الصحيح.

نبذة عن حياته ومؤهلاته العلمية :

ولد الدكتور فاضل حسين كاظم الملقب بالانصاري في قرية صغيرة من قرى بعقوبة اسمها قرية "شفته" في العام ١٩١٢. في عائلة صغيرة مؤلفة من ولدين وبنتين. وهو الوحيد من العائلة الذي اهتم بالدراسة والتحصيل العلمي حيث أكمل الابتدائية في مدرسة بعقوبة الابتدائية التي كانت تبعد كثيراً عن قريته. وكان عليه أن يقطع مسافة طويلة في الذهاب والإياب يومياً وسيراً على الإقدام. أمضى في المدرسة الابتدائية أربع سنوات وتخرج منها في العام ١٩٢٩. وكان ترتيبه الأول في نتائج امتحانات المدرسة للسنوات الأربع. وفي العام ١٩٣٠/١٩٢٩ قبل في دار المعلمين الأولية وأمضى فيها ثلاث سنوات وتخرج منها في العام ١٩٣٢ حيث عين معلماً في المدرسة الخيرية في بغداد^(١). وفي العام ١٩٣٥ قدم طلباً إلى وزارة المعارف أوضح فيه أنه أمضى سنتين معلماً في

البصرة وبعدها نقل إلى بغداد للدراسة في الصف الرابع الثانوي كمستمع والتمس في طلبه إن يكون طالباً أصلياً حتى يفسح المجال لإمامه للتقدم والدراسة والتزود من مناهل العلم . وقد إجابته شعبة أمور الطلبة والبعثات في وزارة المعارف إن بإمكانه الاشتراك في الامتحان العام للدراسة الثانوية كطالب خارجي بعد دفع الرسم المتفق عليه في حينه . وهكذا فسخ له المجال للمساهمة في الامتحان . وكانت نتيجته النجاح بتفوق فحصل على شهادة الدراسة الثانوية من القسم الأدبي . وقد شاءت الظروف إن يكون من ضمن أفراد البعثة العلمية إلى الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٣٩ للدراسة التاريخ . وفي العام ١٩٤٣ تخرج من هذه الجامعة حاملاً شهادة البكالوريوس في التاريخ الحديث بمرتبة الشرف. ^(٢)

ويبدو أن هذه الفترة كانت من الأهمية بمكان في حياته الشخصية والعلمية إذ تركت بصمة واضحة في سيرته اللاحقة . وكان كثير التذكر لها ويردد في محاضراته بعض أحداثها وعلاقاته ببعض شيوخها . دون إن ينسى تحدياتها ومنغصاتنا في وقت كانت فيه الحرب العالمية الثانية قد التهمت الأخضر واليابس ووصلت أثارها المدمرة إلى أقطار المنطقة العربية .

في العام ١٩٤٣ عاد إلى العراق بعد حصوله على الشهادة المتفق عليها وعين مدرسا على ملاك التعليم الثانوي للفترة من عام ١٩٤٣ إلى ١٩٤٨ . وخلال عمله مدرسا في التعليم الثانوي تجمعت لديه مهارات وصفات بقيت ملازمة له أثناء مسيرته الوظيفية وأصبحت جزاء من شخصيته حتى أن أحد التقارير المدرسية التي رفعت إلى وزارة المعارف عنه ذكرت أنه لطيف المعشر خلوق ، نشيط يحسن أداء واجبه ، محبوب من الطلبة ، وكثيرا ما تجده في صفه محاطا بالطلبة لخلق الحسنة وتوجيهه الصائب ، يحسن في إدارة الطلاب والصف. ^(٣)

لم يكتفي فاضل حسين بما حصل عليه من مؤهل علمي وسمعة تدريسية ممتازة . إنما كان طموحه أكبر من ذلك . وقد خدمته هذه المؤهلات في الحصول على بعثة دراسية إلى الولايات المتحدة الأمريكية خلال الأعوام ١٩٤٨/١٩٥٢ . وإثناء هذه السنوات الأربع أنجز رسالة الماجستير عن " المعاهدة العراقية البريطانية الأولى لسنة ١٩٢٢ " أما الدكتوراه فأنجزها عام ١٩٥٢ عندما

كتب عن " مشكلة الموصل " وهي الأشهر من بين إنجازاته العلمية . وكان عنوان رسالته كاملاً " مشكلة الموصل : دراسة في الدبلوماسية العراقية - الانكليزية - التركية وفي الرأي العام " وقد نشرت هذه الرسالة على شكل كتاب في ثلاث طبعات في الأعوام ١٩٥٥ و ١٩٦٧ و ١٩٧٧ . وكان يخطط لطبعها للمرة الرابعة بعد أن تجمعت لديه الكثير من الحقائق والمعلومات الجديدة التي لم تكن قد نشرت سابقاً . إلا أن المنية وافته فلم يتحقق المشروع وبقيت حقائقه في درج أفراد عائلته .

المهم انه بعد حصوله على شهادة الدكتوراه عاد إلى بغداد وصدرت الإرادة الملكية بتعيينه مدرسا في المعاهد العالية وبأشر في وظيفته الجديدة مدرسا في دار المعلمين العالية للفترة من ١٩٥٢-١٩٥٦ . ولعل من أبرز التقارير التي كتبت عنه تلك التوصية إلى رفعها رئيس قسم العلوم الاجتماعية أستاذنا المرحوم الدكتور زكي صالح الذي قال عنه انه أستاذ مجد يؤدي واجباته بإخلاص وله إنجازات بحثية منشورة وأوصى بترقيته . فاصبح أستاذ مساعد في دار المعلمين العالية للمدة من ١٩٥٦/١٩٦٢ . ثم ترقى في كلية التربية إلى أستاذ مشارك للمدة من ١٩٦٢/١٩٦٦ وبقى في كلية التربية ليترقى إلى مرتبة الأستاذية عام ١٩٦٦/١٩٦٨ . وعين رئيسا لجامعة الحكمة عام ١٩٦٩ . وبعد إلغاء هذه الجامعة عاد إلى التدريس في كلية الآداب بجامعة بغداد للأعوام ١٩٧١ إلى عام ١٩٨٢ .

وخلال مدة عمله الأخيرة في كلية الآداب أنتدب للتدريس في جامعة الرياض للسنة الدراسية ١٩٧١/١٩٧٢ . وعندما عاد بقي يدرس في كلية الآداب حتى أحيل على التقاعد في شباط ١٩٨٢ مع لقب أستاذ متمرس . ونظرا لما يتمتع به من مكانة علمية مرموقة ، مع التصريح برغبته في العودة إلى التدريس في كلية الآداب ، أعيد في آذار ١٩٨٢ إلى الخدمة في الجامعة بدرجة أستاذ في قسم التاريخ/ بكلية الآداب/ جامعة بغداد . وبقى يمارس عمله الأكاديمي الأخير حتى وافاه الأجل وانتقاله إلى الرفيق الأعلى يوم ٢٦/٨/١٩٨٩ . عن عمر يناهز السابعة والسبعين .^(١)

فاضل حسين مؤرخاً :

أمضى المرحوم فاضل حسين حياته العملية في التدريس الثانوي والجامعي.... وعلى المستوى الجامعي أنغمر للتدريس في الدراسات العليا على مستوى الماجستير والدكتوراه في كلية الآداب وكلية القانون والسياسة ، فضلاً عن الإشراف على رسائل عديدة لمرحلي الماجستير والدكتوراه في كل من كلية الآداب وكلية الجامعة المستنصرية وفي معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية. كما ساهم في مناقشة رسائل عديدة في داخل العراق وخارجه .. ودرس في معهد البحوث والدراسات العربية سواء في القاهرة أو بغداد في الأعوام ١٩٥٨ و١٩٧٤—١٩٧٥ و١٩٨٤. وشارك في ندوات ومؤتمرات تاريخية متعددة في مصر والعراق في الأعوام ١٩٥٧ و١٩٧٤ و١٩٧٦.

إما على مستوى كتاباته وإنجازاته في ميدان التأليف فيمكن توزيعها على ثلاثة مراتب أو حقول وهي الكتب والبحوث والمقالات . والكتب بدورها تنقسم إلى كتب عامة وكتب مدرسية وكتب مترجمة . أما البحوث فهي تلك الدراسات الأكاديمية التي تناولت مواضيع شتى نشرها في المجلات الأكاديمية المحكمة ، وبعضها ألقى في الندوات والمؤتمرات العلمية . واعتمدت بعض هذه البحوث لإغراض الترقية العلمية فيما بعد .

إما المقالات فهي تلك المعالجات وإبداء الرأي حول بعض القضايا التي كانت موضوعاً للجدل والنقاش ونشر أغلبها في الصحافة والمجلات العراقية كمجلة المعلم الجديد ومجلة الرابطة ومجلة الأجيال وجريدة صوت الأهالي . وفيما يلي استعراض لبعض مؤلفاته في ميدان التاريخ :

الكتب التاريخية العامة :

- ١- مشكلة الموصل ٢- محاضرات عن مؤتمر لوزان وأثاره في البلاد العربية ٣- كومونة باريس
- ٤- تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ٥- سقوط النظام الملكي في العراق
- ٦- مشكلة شط العرب ٧- الفكر السياسي في العراق المعاصر.

وقد طبعت هذه الكتب ونشرت خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٥٥ --- ١٩٨٤.

ويلاحظ على هذه المؤلفات أنها ركزت على الشأن العراقي دون إهمال القضايا العربية والمسائل ذات الطابع الدولي. وأعتمد منهاجاً واضحاً في معالجته تلك هو المنهج الوصفي التحليلي والالتزام بذكر الحقيقة التاريخية ومناقشتها ضمن سياقها الزمني. وقد أعطت هذه المؤلفات معلومات قيمة لطالب التاريخ المتخصص سواء على مستوى الدراسات الأولية والعليا. كذلك لا يمكن إغفال الفائدة التي تحققت لطلاب المتعة التاريخية عند قراءة أو مراجعة هذه الكتب. وقد التزم في كتابة هذه الكتب بالمنهج الأكاديمي من حيث كتابة الهوامش والتعليقات والحواشي التعريفية.

ولعل من الإنصاف الإشارة إلى أن كتاباً كتاريخ الحزب الوطني الديمقراطي رغم أنه يعالج تاريخ الحزب وبياناته وشخصه وقرارات مؤتمراته بطريقة أكاديمية، فإنه يتناول في الوقت نفسه تحليلاً للإحداث ذات الطابع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي التي تصدى لها الحزب وأعطى رأيه في مجرياتها. وكلها تصب في المحصلة النهائية في إطار تاريخ العراق المعاصر. وبالتالي لاستغنى الباحث أي باحث يكتب في حقل تاريخ العراق المعاصر عن مثل كتاب تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي.

وملاحظة أخرى تستدعي الإشارة إليها تتعلق بكتاب سقوط النظام الملكي في العراق. إذ يجب الاعتراف إن هذا الكتاب هو من أوائل المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع المثير للجدل. لقد كُتب عن هذا الموضوع الكثير من الدراسات والبحوث، إلا إن كتاب المرحوم الدكتور فاضل حسين يبقى الأكثر أهمية من بينها. ويكتسب هذه الأهمية لكونه من أوائل الذين بحثوا هذا الموضوع بطريقة أكاديمية عبر توثيقه للمعلومات بالهوامش والتوضيحات. كما أنه وظف طريقة جديدة في عرض معلوماته وتفصيله عبر ما يعرف بطريقة "المقابلات الشخصية". إن هذا الأسلوب في منهج البحث شائع الاستعمال في الدراسات التاريخية في المؤسسات الأكاديمية الغربية. إلا أنه لم يكن قد أرسى قواعده في العراق آنذاك. ولعل من نافلة القول الاعتراف إن المرحوم الدكتور

مجيد خدوري قد طبق هذا الأسلوب واستخدمه "بحذر" في مؤلفه المشهور "العراق المستقل". إلا إن الدكتور فاضل حسين وسع في استخدام هذا الأسلوب وطبقه في مؤلفاته . وقد حذا حذوه في انتهاز هذه الطريقة مع توظيف المستلزمات الأخرى في منهج البحث التاريخي طلابه الذين كتبوا رسائل الماجستير والدكتوراه تحت إشرافه .

الكتب المدرسية :

وهذه الكتب إما منفرداً أو بالاشتراك مع آخرين ومن أبرز هذه الكتب :

١- تاريخ العراق المعاصر المنشور عام ١٩٨٠ بمشاركة كل من المرحوم الدكتور عبد الوهاب القيسي والدكتور عبد الأمير محمد أمين .

٢- التاريخ الأوربي الحديث ١٨١٥-١٩٣٩ وقد نشر هذا الكتاب في بغداد عام ١٩٨٠ بالاشتراك مع الدكتور كاظم هاشم نعمة .

٣- مختصر تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٥٨ وقد طبع ونشر في بغداد في العام ١٩٨٥ . واعد الكتاب في حينه على شكل محاضرات أقيمت في دورة المديرية العامة للإعداد والتدريب المدرسي التاريخ في ثانويات القطر (٥)

ويقلب على هذه الكتب الثلاثة طابع السرد التاريخي لان الهدف من تأليفها تزويد الطالب بأكبر قدر من المعلومات التاريخية على شكل فرشة تاريخية متنوعة من الإحداث والملايسات والعلاقات دون إغفال الأسباب في حدوثه أو التطرق إلى النتائج التي تمخضت عنها . إلا إن هذه المجموعة لم تكتسب الشهرة التي تحققت للمجموعة التي سبقتها . بسبب كونها كتب مدرسية وضعت لشريحة محددة ضيقة من المستفيدين أو المنتفعين .

الكتب المترجمة :

لقد اكتسب الدكتور فاضل حسين مهارة عالية في فن الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية . ولاسيما من اللغة الانكليزية والفرنسية إلى اللغة العربية . إن معرفته بهاتين اللغتين

الأجنبيتين قد تراكمت من خلال دراسته في المؤسسات والمعاهد الأجنبية الأكاديمية كالجامة الأمريكية في بيروت وجامعة إنديانا الأمريكية . ولعل من أبرز الكتب التي ترجمها : كتاب تاريخ فلسطين السياسي تحت الإدارة البريطانية . وكتاب العهد الدستوري العثماني الأول . وكتاب التاريخ الأوربي الحديث ١٩٧٩ - ١٩١٤ . ومجموعة أخرى من البحوث والدراسات .

ولعل أهم مميزات الكتب التي ترجمها الدقة المتناهية في الترجمة سواء على مستوى المعلومة التاريخية التي ينقلها إلى اللغة العربية أو المحافظة على جوهر وروح النص الأجنبي . وهنا يجب التأكيد إن المترجم أي مترجم كان يجب أن يمتلك الاختصاص والخلفية التاريخية للمواضيع التي يعتزم على ترجمتها دون إغفال المهارة والمعرفة الدقيقة باللغة الأجنبية .

ومما لاشك فيه ظهور الكثير من الترجمات التاريخية إلى اللغة العربية في السنوات الأخيرة وقد سدت فراغا كبيرا في المكتبة العربية . ولكن هل ترقى هذه الترجمات إلى مستوى الكتب المترجمة التي سبقتها ؟ هذا سؤال كبير اطرحه إمام ذوى الاختصاص ممن يعمل في ميدان الترجمة . فهم الأقدر على غربة هذا الكم الهائل من الكتب المترجمة ومعرفة الفث والسمين منها .

كتب منجزة ومعدة للطبع :

أنجز الدكتور فاضل حسين مجموعة أخرى من الكتب ذات المعالجات والموضوعات التاريخية المختلفة لم يتسنى له طبعها لأسباب شتى أبرزها كثرة التزاماته الجامعية وتفضيله لطبع المؤلفات التي كانت هناك حاجة ماسة إليها في حينها . كما إن تدهور صحته واستمرار المعالجات الطبية جميعها عوامل حالت بينه وبين الرغبة في انجاز طبعها .

إن هذه المجموعة من الكتب تراوحت ما بين كتب في تاريخ الدول الكبرى مثل كتاب : موجز الثورات العالمية الكبرى الذي يتطرق في بدايته إلى تعريف الثورة ثم الدخول في تفاصيل كل من الثورة الانكليزية والأمريكية والفرنسية والروسية . حيث تطرق إلى أسباب هذه الثورات وملابساتها وتعقيدات الوضع الدولي في وقتها مع بيان أبرز النتائج التي تمخضت عنها .

وكتاب آخر بعنوان : الولايات المتحدة ومشكلة الموصل . وهذا الكتاب لا يبتعد كثيراً عن مؤلفه المشهور عن مشكلة الموصل . ويمتاز باختصاره من حيث المعلومات والتوثيق .
كذلك احتوت هذه المجموعة على كتب تدخل ضمن إطار تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر ككتاب : الثورة العربية في مصر الذي يتناول تفاصيلها الدقيقة ويعقد مقارنة ذكية عند التطرق إلى العناصر المشتركة وأوجه التشابه بينها وبين ثورة مايس والحرب العراقية البريطانية في عام ١٩٤١ وكان مما ذكره في هذه المقارنة إشارته إلى أن : ١- قيام الثورتين في كل من مصر والعراق ضد بريطانيا .

٢- قيادة الجيش للثورتين وتمتعهما بالتأييد الشعبي .

٣- وجود الخديوي توفيق في مصر والذي تحالف مع بريطانيا يقابله وجود الأمير عبد الآلة الوصي على عرش العراق الذي عزله الجيش عن الوصاية ثم أعيد إليها بفضل الحراب البريطانية .

٤- بدأ الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ يقابله الاحتلال البريطاني الثاني للعراق عام ١٩٤١ .^(٦)

ومن ضمن مجموعة تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر هذه الخطوط العامة لمشروع كتاب بمثابة موجز عن تاريخ المملكة العربية السعودية بتسليط الضوء على الدول التي أسسها السعوديون وهي :

١- الدولة السعودية الأولى ١٧٢٤-١٨١٨

٢- الدولة السعودية الثانية ١٨٢٤-١٨٩٠

٣- الدولة السعودية الثالثة ١٩٠٢

كما وضع في هذا المختصر ملامح عن علاقات المملكة العربية السعودية مع الدول العربية بشكل خاص . كذلك يدخل ضمن هذه المجموعة كتاب : قضية تقسيم فلسطين الذي استعرض فيه تطور الأوضاع السياسية في فلسطين للفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٠ و عام ١٩٤٧ . والكتاب هذا فيه تكرار لبعض المعلومات الواردة في كتابه الآخر المترجم عن فلسطين الموسوم " تاريخ فلسطين السياسي تحت الإدارة البريطانية "

ولعل أبرز كتب هذه المجموعة التي أعدت للطبع ولم ترقى النور كتابين عن تاريخ العراق المعاصر وهو الميدان الذي اشتهر فيه وكانت له بصمة واضحة فيه . الأول منهما عنوانه : خلاصة تاريخ الملكية في العراق المعاصر ١٩٢١-١٩٥٨ . والثاني عنوانه : موجز لتاريخ الاجتماعي للعراق المعاصر ١٩١٤-١٩٥٨ . ولعل الكتاب الثاني هو الأبرز لأنه يدخل ضمن الكتب عن تاريخ العراق الاجتماعي وهي كتب قليلة لم يتصدى لمواضيعها إلا القلة من الباحثين في حينها . فجاء هذا الكتاب الذي لو قدر له ان يطبع لسد فراغا في المكتبة العراقية ولا سيما في حقل الدراسات الاجتماعية . والملاحظ على جميع هذه المؤلفات التي أعدت للطبع ولم يتحقق نشرها أنها كانت مختصرة بشكل عام ومعدل صفحاتها من ٥٠ إلى ٧٠ صفحة . البعض منها موثق توثيقا جيدا وفق الطريقة الأكاديمية المعروفة . والآخرى لم يتوفر لها هذا الجانب المهم من التوثيق فجاءت على شكل فرشاة تاريخية تفتقر إلى العمق والتحليل ولكنها مع ذلك تشكل أساسيا يمكن البناء عليه لمن أراد التوسع والكتابة في هذه المواضيع وفق المنهج الوصفي التحليلي .

المقالات والبحوث :

كتب المرحوم الدكتور فاضل حسين عددا من المقالات والبحوث نشرت في حينها داخل العراق وخارجه وفي مجلات أكاديمية محكمة . ومن بين هذه البحوث :
 فيصل الاول والصهيونية : وفيه تناول الموضوع المثير للجدل والمتضمن لقاء الأمير فيصل بن الحسين بزعيم الحركة الصهيونية حاييم وايزمان . وهل أعطى فيصل وعدا للصهاينة بتحقيق طموحاتهم في فلسطين أم لا ؟

بحوثه في الثورات : ١- طبيعة الثورة الفرنسية . ب- حق الثورة في تاريخ الفكر السياسي

ج- طبيعة ثورة العشرين في العراق .

إن تدريسه لمادة التاريخ الأوربي الحديث واعتماده الكبير على كتاب كارلتون هيز في التاريخ الأوربي جعله مغرما بدراسة الثورات فجاءت هذه البحوث ملبيا مثل هذه الرغبة ومنسجما مع اهتماماته بالمواضيع الأوربية الحديثة .

مع ذلك يبقى في تقديري إن كتابته عن ثورة العشرين وطبيعتها هي الأعمق والأكثر أصالة
لكونها ألقت الضوء على الدور الكبير الذي لعبته التجمعات المثقفة ذات الأهداف الوطنية
والقومية .

بحوثه في القضية الفلسطينية :

- أ- موقف المؤرخ العربي من القضية الفلسطينية.
- ب- لجان التحقيق المنشور في الموسوعة الفلسطينية
- ٤- بحوثه في فلسفة التاريخ : أ- نحن والتاريخ . ب- مفهوم التاريخ .
- تطرق فيهما الى مدارس التاريخ ومناهجه والمواصفات التي يجب إن يتمتع بها المؤرخ وكيفية
التعامل مع المعلومة التاريخية وطرق نقدها وعرضها .

بحوثه في تاريخ العراق المعاصر :

- أ- سياسة نوري السعيد الخارجية .
 - ب- جمعية الجوال العربي .
 - ج- جمعية الرابطة الثقافية .
- في هذه البحوث الثلاثة يكشف المؤلف عن القدرة والقابلية البحثية ذات النكهة النقدية
عندما يناقش موضوعاً أكثر الجدل حوله والمتعلق بنوري السعيد واجتهاداته السياسية سواء على
المستوى السياسي الخارجي أو الداخلي . أما البحث الثاني فهو فصل في تاريخ النشاط القومي في
العراق خلال الثلاثينات لماذا ازدهر هذا النشاط ومن هم عناصره الفاعلة ؟ ما هي المعوقات
التي واجهتهم وكيفية التغلب عليها ؟ ما هي انجازاتهم ؟ وكيف تراجع هذا النشاط فيما بعد ؟
أما البحث الثالث الذي نشر في مجلة دراسات في التاريخ والآثار في العدد ٢ لسنة ١٩٨٢ ما هو إلا
فصل في تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق .

وعلى العموم يمكن القول إن هذه البحوث أثمرت أغلبها بالطابع الأكاديمي من حيث التوثيق والتبويب ، كما أنها نشرت جميعها في داخل العراق وخارجه . وهى تقدم فائدة جمة لطلاب الدراسات التاريخية خاصة ولطلاب المتعة التاريخية عامة .

فاضل حسين سياسياً :

شهد العراق والعالم الكثير من التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أعقاب الحرب العالمية الثانية . لقد نشأ جيل جديد أراد أن ينفذ عنه غبار الحرب وينسى ما جلبته للعالم من تخريب ودمار ومآسي . جيل أراد إن يتمتع بعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية وما أفرزته من تحولات على مختلف الصعد . جيل سعى لتحقيق السلام والحرية والديمقراطية ونشر المعرفة ومقاومة الأمراض والأوبئة والقضاء على الفقر والجهل .

في مثل هذه التحولات الكبيرة والرؤى الجديدة ظهرت مؤهلات وقابليات المرحوم الدكتور فاضل حسين في ميدان النشاط السياسي . لقد أراد هو وآخرون من الجيل الذي ينتمي إليه إن ينقلوا العراق إلى عتبة جديدة من التغيير أبرز ملامحه نشر المعرفة والقضاء على الفقر والامية ومقاومة الأمراض والأوبئة وتحقيق مشاريع الأعمار ووضع التشريعات المالية الجديدة والمحافظة على الثروات الطبيعية وتطبيق الإصلاحات الديمقراطية . دون إغفال المطالبة بتعديل المعاهدات والاتفاقيات وبالأخص تعديل الامتيازات النفطية ، ومد يد التأييد والمساندة لحركات التحرر الوطني والقومي لشعوب الآسيوية والإفريقية .

إن هذا الجيل ولاسيما العناصر البارزة فيه التي كانت قد درست في الخارج وفي المؤسسات الأكاديمية الغربية قد تأثرت كثيراً بأساليب الحياة الغربية وطريقة التعبير عن الرأي . لذا عندما أكملوا دراستهم في الخارج وعادوا إلى العراق تبنوا هذه الوسائل والأساليب التي اتسمت بالمطالبات السلمية والإصلاح التدريجي بعيداً عن العنف الثوري والتصفيات الجسدية والافتتالات . وكانت وسائلهم في العمل السياسي يتم عبر النشر في الصحافة الوطنية ، أو رفع المذكرات والبيانات إلى الجهات المسؤولة والمنظمات الدولية ، أو تنسيق العمل الاحتجاجي مع الأحزاب الأخرى بالمظاهرات والاعتصام السلمي .

وهناك ملاحظة جديرة بالانتباه إن الدكتور فاضل حسين ورغم انشغاله بالنشاط السياسي لفترة ليست بالقصيرة إلا أنه لم يتبوأ أي منصب سياسي حتى بعد حصول التغييرات السياسية الكبيرة في أعقاب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وحصول الحزب الوطني الديمقراطي الذي ينتسب إليه على بعض المقاعد الوزارية . ولعل التفسير يكمن إما لزهده في المنصب الوزاري وتفضيله العمل الأكاديمي على العمل السياسي أو لربما يكمن السبب في اعتقاد النظام الجديد إن الوقت لم يحن بعد لتكليفه بأي مسؤولية وزارية أو لربما للسببين مجتمعين .

وعند التطرق إلى بدايات حياته السياسية لابد من الإشارة إلى أنه كان من المتأثرين بجماعة الأهالي ومن المتابعين لما كان ينشر في جريدة الأهالي ورسائلها من مقالات تعالج الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ويعترف في واحدة من أوراقه الخاصة أنه تعرف على بعض أفراد جماعة الأهالي ومنهم أستاذه في دار المعلمين العالية على حيدر سليمان وكذلك حسين جميل المحامي الذي أصبح من أصدقائه المقربين فيما بعد . وعندما تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٤٣ وعين مدرسا في المتوسطة الغربية في بغداد تعرف على مفتش الاختصاص في وزارة المعارف الأستاذ عبد الفتاح إبراهيم الذي كان معروفاً بأرائه التقدمية والتي نشرها في مؤلفاته التي تضمنت رسائل الأهالي إلى الشباب مثل على طريق الهند ومطالعات في الشعبية (٧)

وعندما أخذت عمليات الحرب العالمية الثانية بالانحسار وأخذت تلوح في الأفق انتصارات كفة الحلفاء على دول المحور فكر عبد الفتاح إبراهيم في تأسيس جمعية ثقافية تجمع شمل الديمقراطيين التقدميين . وقدم هو وصحبه طلباً إلى وزارة الداخلية بتأسيس جمعية تحمل اسم (جمعية الرابطة الثقافية) . وقد وافقت وزارة الداخلية على طلبهم في ١٢/٢٦/١٩٤٣ . وجرى انتخاب أول هيئة إدارية في ١/٢٤/١٩٤٤ . وفي اجتماعها الأول في ١٩/٢/١٩٤٤ قررت انتخاب لجنة للمحاضرات والمناقشات كان من بين أعضائها فاضل حسين .

كما كان من إنجازات هذه الجمعية إصدار مجلة الرابطة التي ساهم في الكتابة فيها عدد من المثقفين من بينهم الدكتور فاضل حسن الذي نشر فيها بحثين هما :

نحن والتاريخ . ونشر في المجلة في عدد نيسان ١٩٤٤

من عصبة الأمم إلى منظمة السلامة الدولية . ونشر في عدد آذار ١٩٤٥ (٨)

إن هذه العلاقة الوثيقة مع أعضاء جمعية الرابطة الثقافية تطورت فيما بعد إلى انتماء إلى الحزب الوطني الديمقراطي إما متى وكيف تم هذا الانتماء فلا تزال تفاصيله مجهولة . ورغم الادعاء بأنه كان متعاوناً معهم ويؤازرهم كثيراً ولم ينتمي إلى الحزب بشكل رسمي كونه موظف حكومي . إن هذا الادعاء يتناقض مع المعطيات الكثير سواء بكتابات عن بدايات تأسيس الحزب ، والوقوف على الحياة الداخلية للحزب ، وإمالة اللثام عن الكثير من تفاصيل الاجتماعات والنقاشات والعلاقات المتوترة بين أجنحته ، واستمرار علاقته بأعضاء الحزب حتى بعد تجميده واختفاءه من المسرح السياسي العراقي . ويتناقض هذا الادعاء أيضاً مع الشهرة التي اكتسبها كونه (معلم الحزب) .

إما آراؤه في الحزب الوطني الديمقراطي وفي شخوصه البارزة فيمكن الوقوف عليها من خلال مراجعة مؤلفه المشهور (تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي) الذي نشر في بغداد بطبعته الأولى عام ١٩٦٣ وأعيد طبعه عدة مرات في السنوات اللاحقة .

وعلى العموم يمكن القول إن المرحوم الدكتور فاضل حسين قد انغمس في العمل النقابي ضمن تشكيلات نقابة المعلمين وكذلك في النشاط الوطني الميداني حيث كان من ضمن المساهمين في الانتفاضة الوطنية لعام ١٩٤٨ والتي عرفت بوثبة كانون الثاني ضد معاهدة بورتسموث نظراً لثقل بنودها على الشعب العراقي . وكانت الحكومة العراقية تتهم كل من يعارضها ويساهم في المظاهرات بأنه شيوعي . ومن الذين اتهموا بهذا الاتهام مدرّس التاريخ في الإعدادية المركزية فاضل حسين حيث ذكر عنه أنه كان مسؤولاً عن خلية شيوعية تعمل على نشر المبادئ الشيوعية بين الطلاب لهدم كيان الأمة . إلا أن هذا الاتهام كان زائفاً ولم تثبت صحته .^(٩)

وفي عام ١٩٥٦ كان من ضمن المساهمين بالدعوة لإطلاق سراح الموقوفين من الطلبة الذين خرجوا في مظاهرات شعبية لتأييد مصر في مواجهة العدوان الثلاثي الذي تعرضت له عام ١٩٥٦

على اثر تأميم قناة السويس . وكالعادة أرسلت تقارير وزارة الداخلية عنه انه من العناصر الشيوعية البارزة وله دور نشط بإرسال النشرات والبيانات إلى أهالي قريته واصقائه في بعقوبة . إلا ان هذه المعلومات عنه لم تكن صحيحة وأهملت شأنها شأنها المعلومات الأخرى التي سبقتها . ولعل من مساهماته الوطنية الأخرى التوقيع مع الأساتذة الآخرين على عريضة الاحتجاج المرفوعة إلى الملك فيصل الثاني بتاريخ العاشر من تشرين الثاني ١٩٥٦ والتي تضمنت المطالب التالية :

ضمان الحرية الفكرية لاساتذة الجامعة .

السماح للطلبة بتشكيل المنظمات الطلابية والسماح لهم بممارسة نشاطاتهم من خلالها .
إطلاق سراح الموقوفين من الطلبة والسماح لهم بالعودة إلى مقاعد الدراسة .^(١٠)

وعلى العموم يمكن القول إن المرحوم الدكتور فاضل حسين لم يكن بعيداً عن هموم الناس وكان من الداعين لتحقيق الإصلاح في كل المجالات . وفي مسيرته الأكاديمية كان واضحاً في التعبير عن مواقفه الوطنية والقومية التي كان دائم التكرار بطرحها إمام طلابه ومريديه . لقد تعرض الدكتور فاضل حسين إلى بعض النكسات الصحية مما استلزم الأمر إلى إرساله إلى العلاج خارج العراق على حساب الدولة . ففي شباط من عام ١٩٧٧ وصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية برفقة زوجته . وبعد عرضه على اللجنة الطبية هناك وجد انه يعاني من مشاكل خطيرة في القلب مما يستدعي الأمر إلى إجراء عملية مستعجلة . وبعد نجاح العملية عاد إلى العراق ليمارس العمل المحبب إلى قلبه ذلك هو التدريس في الجامعة . ولكن بعد سنتين تعرض إلى انتكاسة صحية أخرى فإرسل في آب من عام ١٩٧٩ إلى الولايات المتحدة الأمريكية برفقة زوجته ولمدة شهر ونصف .

وقد تماثل للشفاء التام وعاد إلى العراق وإلى مكانه الطبيعي ذلكم هو التدريس في الدراسات العليا والإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه في كلية الآداب .

إن عمله ونشاطه الأكاديمي المتواصل من ناحية ، وما حصل داخل أسرته من إحداث قاسية ، كان لها أبلغ الأثر في تدهور حالته الصحية العامة وانهارها مما لم يقوى قلبه على تحملها حتى وافاه الأجل في ٢٦ آب ١٩٨٩ وهو بمرتبة أستاذ متمرس في كلية الآداب بجامعة بغداد .

الهوامش

١. من سجلات كلية الآداب جامعة بغداد ، الاضبارة الشخصية للدكتور فاضل حسين نقلا عن :
رجاء حسين حسنى الخطاب ، الدكتور فاضل حسين : دراسة عن سيرته العلمية ونشاطه
السياسي ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص ١٢.
٢. من سجلات كلية الآداب ، المصدر نفسه ، ص ١٢
٣. من أوراق فاضل حسين الشخصية ، نقلا عن رجاء حسين حسنى الخطاب ، المصدر نفسه ،
ص ١٣.
٤. المصدر نفسه ، ص ١٦
٥. المصدر نفسه ، ص ٣٤
٦. المصدر نفسه ، ص ٥٠
٧. من أوراق فاضل حسين ، أوراق بخط يده ، المصدر نفسه ، ص ٢٠
٨. المصدر نفسه ، ص ٢١
٩. من سجلات وزارة الداخلية ، الاضبارة الشخصية للدكتور فاضل حسين ، المصدر نفسه ،
ص ٢٣.
- ١٠- المصدر نفسه ، ص ٢٥